البلاغة الجديدة

(تنظيرٌ لبلاغة البيان والتبيين)

دکتر محمد خاقانی اصفهانی

تهران
۱۳۹۶

سازمان مطالعه و تدوین کتب علوم انسانی دانشگاه‌ها (سمت)
پژوهشکده تحقیق و توسعهٔ علوم انسانی

الفهرس

العنوان	الصفحه
الملخّص	١
المقدمة	٣
١. تبيين الموضوع	٣
٢. خلفية البحث	٧
٣. ضرورة البحث	١٠
٤. منهج البحث	١٠
٥. سيميائيّة العنوان	١١
٦. أبحاث الكتاب	١١
٧. إلى مدرسة البيان والتبيين التوحيدية	١٢
الفصل الأول: مباحث تمهيدية	١٥
١-١ جوهر البلاغة	١٥
١-٢ نظرة إلى ماهية اللغات البشرية	١٥
١-٣ اللغة ولغة اللغة	١٧
١-٤ حدود الأدب في إطار اللغة	١٨
١-٤-١ تعريف الأدب بالتغريب	٢٠
١-٤-٢ تعريف الأدب بالجمال	٢٢
١-٥ موقع الأدب بين الفنون	٢٣
١-٦ النسبة بين البلاغة والأدب	٢٤
١-٧ البلاغة بين العلم والفن	٢٤
١-٨ نشأة البلاغة العربية وتطوّراتها	٢٥
١-٩ علاقة البلاغة بالنحو والصرف	٢٦

العنوان	الصفحه

الفصل الثاني: البلاغة القديمة وخصومها الجديدة	٢٩
مقدّمة	٢٩
٢-١ البلاغة وعلم اللغة العام	٢٩
٢-٢ البلاغة وعلم الجمال	٣٠
٢-٢-١ ما الجمال؟ وما الفنّ؟	٣٠
٢-٢-٢ علم الجماليات	٣١
٢-٢-٣ أدبية الأدب في جمال اللفظ دون المعنى	٣٤
٢-٣ البلاغة والنحو العام (General Syntax)	٣٤
٢-٣-١ خلط علاقات النحو بالبلاغة عند اللسانيين العرب	٣٥
٢-٣-٢ في البلاغة والتكافؤ النحوي بين العربية والإنجليزية والروسية	٣٦
٢-٤ البلاغة والأسلوبيات	٣٧
٢-٤-١ الأسلوب في اللغة والأصطلاح	٣٧
٢-٤-٢ الأسلوبيّة والبلاغة	٤١
٢-٥ البلاغة وعلم الخطاب	٤٣
٢-٥-١ النصّ والخطاب	٤٣
٢-٥-٢ الخطاب؛ تطوّراته مفهوماً وتاريخاً	٤٣
٢-٥-٣ الخطاب اصطلاحاً	٤٥
٢-٥-٤ أهداف تحليل الخطاب	٤٨
٢-٥-٥ مشاكلات أو اختلافات بين الأسلوبية وتحليل الخطاب	٥١
٢-٦ البلاغة وعلم الإشارات	٥٤
٢-٧ البلاغة وعلم المعنى (علم الدلالة)	٥٥
٢-٧-١ دلالة اللفظ على المعنى	٥٥
٢-٧-٢ علاقة اللفظ بالمعنى	٥٦
٢-٧-٣ علاقة البلاغة بعلم المعنى أو علم الدلالة	٥٧
٢-٨ البلاغة والنقد الأدبي	٥٧
٢-٨-١ النقد أبو البلاغة	٥٨
٢-٨-٢ مدارس النقد الأدبي	٥٩
٢-٨-٣ علاقة النقد بالبلاغة	٦٥

العنوان	الصفحه

الفصل الثالث: البلاغة القديمة؛ مرور ونقد ٦٦
٣-١ اتجاهات البحث البلاغي القديم ٦٦
٣-٢ تعاريف البلاغة ٦٧
٣-٣ التقسيم الثلاثي لعلم البلاغة وعلاقتها من حيث التقدم والتأخر ٦٧
٣-٤ مقارنة تقويمية للمعاني والبيان والبديع ٦٩
٣-٤-١ علم المعاني ٧٠
٣-٤-٢ علم البيان ٧١
٣-٤-٣ علم البديع ٧٥
٣-٥ كثرة التقسيمات والتفريعات في الفنون البلاغية ٧٦

الفصل الرابع: معالم البلاغة الجديدة ٧٧
٤-١ تمهيد ٧٧
٤-٢ تأثر البلاغة الجديدة بثورة اللسانيات الجديدة ٧٨
٤-٢-١ أسس اللسانيات الجديدة ٧٨
٤-٢-٢ شُعَب اللسانيات الجديدة ٧٩
٤-٣ توسيع إطار البلاغة الجديدة ٧٩
٤-٤ البلاغة الجديدة والانزياح ٨٠
٤-٥ البلاغة الجديدة والأسلوبيات ٨١
٤-٦ عدم الالتزام بالطابع القدسي والديني ٨٢
٤-٧ الدعوة إلى تنويع البلاغة ٨٢
٤-٨ التفريق بين المنهجين المعياري والوصفي ٨٣
٤-٩ التفريق بين أنواع البحث الثلاثة: السكوني والحركي واللازماني ٨٥
٤-١٠ التفريق بين اللغة والكلام ٨٦
٤-١١ التفريق بين الكلام والكتاب ٨٦
٤-١٢ الدراسات النحوية والبلاغية؛ بين الجملة والنص ٨٨
٤-١٢-١ من نحو الجملة إلى نحو النصّ ٨٨
٤-١٢-٢ الوحدة الأساس في اللغة: الكلمة؟ أم الجملة؟ أم النص؟ ٨٩
٤-١٢-٣ دراسة في معنى «النص» ٩١

العنوان	الصفحه

٤-٢-١٤ معالم النصّ	٩٦
٤-٢-١٥ أركان النصّ	٩٨
٤-٢-١٦ الاتجاه النصاني عند بعض البلاغيين العرب	٩٩
٤-٢-١٧ السياق والعبارة بين المتكلم والسامع	١٠٠
٤-٢-١٨ التناص	١٠٠
٤-٢-١٩ البلاغة بين المرسِل والنصّ والمتلقّي	١٠٣
٤-٢-١١٠ الحضارة الإسلامية حضارة النصّ	١٠٤
الفصل الخامس: الحركات التجديدية في البلاغة العربية	١٠٦
٥-١ تمهيد	١٠٦
٥-٢ صيغة أمين الخولي	١٠٦
٥-٣ صيغة أحمد الشايب	١١٢
٥-٤ صيغة سعد مصلوح	١١٢
٥-٤-١ بعض الجوانب الإيجابية في هذا الكتاب	١١٣
٥-٤-٢ ومن جوانبه السلبية	١١٤
٥-٥ محاولات أخرى	١١٤
٥-٥-١ خليل كفوري	١١٤
٥-٥-٢ سلامة موسى	١١٥
٥-٥-٣ عدنان بن ذريل	١١٥
٥-٥-٤ الأزهر الزنّاد	١١٥
٥-٥-٥ محمد مصطفي هدّارة	١١٥
٥-٥-٦ محمد سليمان ياقوت	١١٥
الفصل السادس: إعادة تنظيم العلاقات بين النحو والبلاغة	١١٧
٦-١ ضرورة تجديد النحو عند تجديد البلاغة	١١٧
٦-٢ صيغة المؤلف في تجديد النحو	١١٨
٦-٢-١ النحو في مدرسة البيان والتبيين	١١٩
٦-٣ أسباب تفرض علينا ضرورة التجديد في النحو والبلاغة	١٢١

العنوان	الصفحه
٦-٤ علاقة النحو بالبلاغة	١٢٢
٦-٤-١ نقل أبواب الإسناد الخبري إلى النحو	١٢٣
٦-٤-٢ نقل الخبر والإنشاء إلى علم النحو	١٢٤
٦-٤-٣ نقل باب القصر إلى النحو	١٢٥
٦-٤-٤ نقل باب الوصل والفصل إلى علم النحو	١٢٥
٦-٥ رفض التقسيم الثلاثي للمعاني والبيان والبديع	١٢٦
٦-٦ موقفنا تجاه صيغة أمين الخولي	١٢٩
الفصل السابع: منطلقات المؤلف في تجديد البلاغة	١٣١
٧-١ تجديد البلاغة والدفاع عن القرآن الكريم	١٣١
٧-٢ مبادئنا الفلسفية لبلاغة البيان والتبيين	١٣٢
٧-٣ ماذا نقصد بالبيان والتبيين؟	١٣٤
٧-٤ موقفنا إزاء ثنائية الفكر/اللغة	١٣٥
٧-٥ اللغة هي اللوگو (logo)	١٣٦
٧-٦ اللغة والاستعارة	١٣٧
٧-٧ موقفنا إزاء ثنائية الكلام النفسي/الكلام اللفظي	١٤١
٧-٨ موقفنا إزاء ثنائيّة الكلام/الكتاب	١٤٢
٧-٨-١ القرآن بين الكلام والكتاب	١٤٣
٧-٩ موقفنا إزاء ثنائيّة: البنية العميقة/البنية السطحية	١٤٣
٧-١٠ الفنّ لا يخصّ النصّ الأدبي بل يعمّ جميع مراتب اللغة	١٤٤
٧-١١ العلم والفن (والنحو والبلاغة) كلّها في مسار التشكيك	١٤٥
٧-١٢ موقفنا إزاء ثنائيّة: العلم/الفنّ	١٤٧
٧-١٣ موقفنا إزاء ثنائيّة: الوصفية/المعيارية	١٤٨
٧-١٤ موقفنا إزاء ثنائيّة: الإيضاح/الغموض	١٤٩
٧-١٤-١ نزوع البلاغة التقليدية إلى الإيضاح	١٤٩
٧-١٤-٢ نزوع البلاغة الجديدة إلى الغموض	١٥٠
٧-١٤-٣ نحن وإشكالية الإيضاح/الغموض	١٥٠

العنوان	الصفحه
الفصل الثامن: محاور بلاغة البيان والتبيين (المقامات، الأبواب والوحدات)	١٥٢
٨-١ تعريف «بلاغة البيان والتبيين»	١٥٢
٨-٢ محاور بلاغة البيان والتبيين	١٥٢
٨-٣ مقامات بلاغة البيان والتبيين	١٥٣
٨-٣-١ مقام البيان	١٥٣
٨-٣-٢ مقام التبيين	١٥٣
٨-٣-٣ فوارق بين مقامَي البيان والتبيين	١٥٤
٨-٤ أبواب بلاغة البيان والتبيين	١٥٩
٨-٤-١ وجه استعمال الظاهر/الباطن في درجات الجمال والكمال	١٥٩
٨-٤-٢ باب الألفاظ (جماليات اللفظ)	١٦٠
٨-٤-٣ باب المعاني (كماليّات المعنى)	١٦٤
٨-٤-٤ اتجاهات الأدب في التقريب والتبعيد	١٧٠
٨-٥ وحدات بلاغة البيان والتبيين	١٧٢
٨-٥-١ وحدة النصّ	١٧٢
٨-٥-٢ وحدة الفقرة	١٧٤
٨-٥-٣ وحدة الجملة	١٧٥
٨-٥-٤ وحدة شبه الجملة	١٧٥
٨-٥-٥ وحدة الكلمة	١٧٥
٨-٥-٦ وحدة الصرفيم (المورفيم)	١٧٦
٨-٥-٧ وحدة الصوتيم (الفونيم)	١٧٦
٨-٦ الوحدات البلاغية ودرجات المعنى	١٧٧
٨-٧ منهج التعليم في بلاغة البيان والتبيين	١٧٨
خاتمة الكتاب ونتائج البحث	١٨٤
المصادر	١٩٠

الملخّص

إذا كان الإنسان عصارة نظام الكون وأصقل مرآة تعكس صفات بارئــه، فاللغــة عصارة الإنسان وأصقل مرآة تعكس ميزاته. ولاتبقى اللغة مرآةً فقط، بل تتعامــل مع صاحبها وتحلّق به إلى فضاءات المعرفة والمحبّة. في فضاءات المعرفة تلعب اللغــة دور العامل الأساس في بَلوَرة الأفكار والرؤى، وفي أجواء المحبّــة تجــسّد أجمــل الأحاسيس والعواطف البشرية، ومن هنا تأسّست البلاغة العربية كحلقة تكامليّــة بعد النحو العربيّ، لتخدم القرآن الكريم بالكشف عن جماليّاته ودقائقه.

لكن البلاغة التقليدية عانت من نقائص، وتكبّلت بقيود جرّتها إلى ﴿**شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**﴾ (التوبة/١٠٩)، وكأنّها تلفّظت أنفاسها الأخيرة في العقود الأخيرة، حيث أعلنوا في الغرب الحديث عن موتها، وتشييع جثمانها على أكتاف شُعب اللسانيات الجديدة، وحذفوا مادّتها من قاعات التدريس. أما المسلمون عرباً وعجماً فقد احتاروا في أمر هذا المحتضر؛ هل يحيوها من جديد بصدمة كهربائية، باعتبارها الكفيلة الوحيدة بالدفاع عن المعجزة القرآنية؟ أم يواكبوا تيار الحداثويّين ومابعد الحداثويّين، ويضعوها في تابوت الماضي المجيد؟!

في أجواء هذه الحيرة؛ برزت على الساحة العربية مــشاريع لإحيائهــا، أو لوضع بدائل عنها، ومن أقوى هذه المشاريع ذلك الذي صاغه الشيخ أمين الخــولي بعنوان: «فنّ القول».

ونحن، بعد وقوفنا على أعتاب هذه الإشكالية العلميّة الفنيّة الثقافيّة في العالم الإسلامي، وبعد الاطلاع على تلك المشاريع، وبعد قناعتنا بعدم جدواها وعــدم

نجاحها في الخروج من هذا المأزق، نقدّم للجمهور المهتمّ بهذا الموضوع مشروعنا التمهيديّ بعنوان *بلاغة البيان والتبيين*. في هذا المشروع نوظّف مستجدّات اللسانيات الحديثة كالسيميائيات وعلم المعنى والأسلوبيات وغيرها لنجدّد البلاغة التقليدية في صياغة جديدة تشمل: مقامات وأبواب ووحدات.

وقد قيّدنا عنوان الكتاب **بالتنظير** ليكون مصدراً تعليميّاً لمرحلتي الدراسات العليا، وسنُتبعه - بإذن الله تعالى - بكتاب آخر هو **كتاب التطبيق**، سنقدّم فيه نصوصاً عربيةً نطبّق عليها منهجنا في بلاغة البيان والتبيين للتدريس في مرحلة الإجازة.

على أمل أن يسعفنا الله تعالى برسم مشروع جامع يحمل عنوان:
مدرسة البيان والتبيين في علوم اللغة والأدب

ويتجاوز البلاغة إلى جميع العلوم اللغوية والأدبية من اللسانيات والأسلوبيات والسيميائيات وعلم المعنى والبلاغة والنقد الأدبي وغيرها، برؤية توحيديّة لا ترضى بتفتيت أبعاد علوم اللغة والأدب.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين
وعلى أهل بيته الطاهرين وصحبه المنتجبين
اللّهم إنا نسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل
اللّهم إنا نسألك بجمالك كلّه

١. تبيين الموضوع

اللغة في المجتمع البشري خزّان لأثمن ما يملكه الإنسان ويعتزّ به، فهو خزّان أفكاره ورؤاه، ومحفظة أحاسيسه وعواطفه. هذا الخزّان العظيم يضمّ صناديق من الكلمات والعبارات والجمل، وكلّ صندوق يحفظ لؤلؤة ثمينة هي الكلمة.

والكلمة لها قدسيّتها الخاصّة العجيبة في الإسلام:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن/١-٤).

وفي المسيحية أيضاً:

١) فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ الله، وَكَانَ الْكَلِمَةُ الله. ٢) هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ الله. ٣) كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ (*إنجيل يوحنّا*/١-٣)[1].

والكلمات عند المؤلّف لها قدسيتها، لا المفردات الراقية والفاخرة فحسب، بل حتى الكلمات السخيفة، لأنها هي أيضاً تكشف عن أبعاد نفسيّة لبشر ينطوي

1. http://st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showChapter.php?book=53&chapter=1

فيه جميع الخيرات وجميع الشرور.

وكل كلمة عند المؤلّف خلية من خلايا اللغة لأن اللغة عنده حيّة كحياة الإنسان، وكلّ خلية في جسم الإنسان تحتوي على ركام من الخصوصيات الجينية لجميع الآباء والأجداد والأسلاف، تنتقل جيلاً بعد جيل، وتفعل فعلها حين تتسنّى لها فرص الظهور والبروز. كذلك الكلمات في كل لغة بشرية تنقل إلينا تراثاً تاريخيّاً من الأيّام الأولى لظهور الإنسان على وجه المعمورة.

وإذا كانت الجينات والكروموزمات كفيلة بتشكيل جسم الفرد بمواصفاته الفريدة، كذلك الكلمات كفيلة بتشكيل الهوية الثقافية والعلمية والعاطفية لدى كلّ فرد.

ثمّ إنّ الحياة البشرية متجدّدة دائماً، والأدب يتجدّد بتجدّد الحياة. وليس الأدب يتجدّد فقط، بل اللغة بأسرها خاضعة للتّجديد، لأنها كائن حيّ. لذلك صنّف بعض المفكّرين علم اللغة أو اللسانيات من أقسام علم الحياة (البيولوجيا)، مما يلزم رصد مراحل حياة اللغة، انطلاقاً من لحظة تكوين نطفتها وصيرورتها علقة ومضغة وعظاماً وخلقاً آخر يرى النور بالولادة، ثم يقضي مراحل طفولتها وشبابها وشيبوبتها إلى مرحلة الاحتضار والموت.

على الباحث في شؤون اللغة والأدب أن يكون ملمّاً بهذه التطوّرات؛ لا سيمّا تطوّرات الزمن الراهن، التي دعت البعض أن يرفضوا الماضي ويقبلوا قطيعة معرفيّة مع المفكّرين القدامى؛ منهم من دعا إلى التخلي عن النحو العربي وقواعده (الماغوط)، ومن تهجّم على حرمة الخليل (جماعة الشعر)، ومن نادى باستبدال العامية بالفصحى (سعيد عقل...)، أو نادى باستبدال العقل العربيّ بالميكانيزمات الحضارية الغربية (سلامة موسى) وأمثالهم.

وقد أعلن بعض الدارسين في الغرب عن موت البلاغة التقليدية: «وقد نمت العلوم الألسنيّة والجمالية والإنشائية على حساب البلاغة، وكانت هذه العلوم هي البلاغة الحديثة أو تعويضاً عن البلاغة، لأن البلاغة التقليديّة ماتت ودُفنت بحسب

تعبير جيرو (Guiraud)» (كفوري، ١٩٩٤: ١٤).

والإجماع معقود على أن البلاغة العربية تأسّست لخدمة القرآن الكريم وإثبات إعجازه الخالد. وكانت حليفةَ النحو العربي وشريكته في الكشف عن أسراره ودقائقه. وقد مرّت بمراحل بدأً بمرحلة الولادة والمخاض، مروراً بمرحلة النضج والكمال والإبداع، ووصولاً إلى مرحلة الجمود والتقعيد والدوران في دوّامة المطوّلات والمختصرات والشروح والتفاسير. وفي هذه المراحل، عاشت نفس التجارب التي عاشها الأدب العربي بشكل عام، من ظهور ونضج وانحطاط، إلى أن اصطدمت العقليّة العربيّة والإسلاميّة بطيف جارف من الثقافة والحضارة الغربيّتين، فاندلعت نيران حرب قاسية بين الأصالة والمعاصرة، وبين العراقة والحداثة ومابعد الحداثة. وبرزت على الساحة تيّارات فكرية متضاربة شتّى من المحافظين المصرّين على الأصالة العربية والإسلامية، والإصلاحيّين المتطرّفين المنادين للثورة على هيمنة التراث، ومذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. إزاء هذه الإشكالية الكبري في عصرنا الراهن، لسنا نحن مع اليمين المحافظ، ولا مع اليسار الثائر، ولا مع المذبذب المتردّد، بل ندافع عمّا نؤمن به من فكرة توحيديّة، ونحاول تأييد الحقّ أينما وُجد، و﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ**﴾ (البقرة/ ١١٥). نحن نعترف بفضل القدامى وقيمة أعمالهم البلاغيّة الجسيمة في خدمة المعجزة القرآنيّة التي نراها أصلاً ثابتاً على مرّ العصور من جانب، وفي نفس الوقت لا نكنّ إعجابنا بالمتغيرات والمستجدات التي اقتضتها أحداث الدهر التي تتطوّر بإذن الله وتعبّر عن مواصلة سلوك مراتب الكمال بعون الله.

وقد وقع اختيارنا على أن لا نلغي المواضيع البلاغية القديمة في قاعات الدرس والبحث، بل نعالجها بنظرة موضوعية نقدية على ضوء التيارات الفكرية الحداثية ومابعد الحداثية، للكشف عن إيجابيات القديم والاحتفاظ بها والكشف عن سلبياتها والتغاضي عنها، مع الإصرار على عرضها في خطّة علمية وتعليمية حديثة.

وقد قدّمنا لبنة من رؤيتنا اللغوية في كرسيّ تنظيريّ بعنوان: «السيميائيّات واللسانيات الإسلامية»، ورؤيتنا البلاغية الجديدة في كرسيّ تنظيريّ آخر بعنوان: «نظرية البيان والتبيين البلاغية» في جامعة أصفهان[1] ومراكز علميّة أخرى. وهذا الكتاب الذي يحمل مشروعنا البلاغي نقدّمه إلى أسرة اللغة العربية في كلّ بقعة من العالم، للبحث والنقد والتنقيب في مراحل الدراسات العليا.

وسيليه بإذن الله تعالى كتاب آخر لرسم مشروعنا التكاملي التوحيديّ عن اللغة والأدب، بعنوان: *مدرسة البيان والتبيين في علوم اللغة والأدب*، يعالج تأطيراً لجميع العلوم اللغويّة والأدبيّة، بما فيها علوم النحو والصرف والصوتيّات والبلاغة وعلم المعنى وعلم الدّلالة والأسلوبيّات والنقد الأدبي وغيرها.

الهدف من نشر هذا الكتاب سدّ الخلأ المشهود والخلل الموجود في تدريس البلاغة العربية في الجامعات الإيرانية؛ المادّة التي تقيّدت منذ سنوات طويلة بكتب دراسية نتجت عن النظرة السائدة التقليديّة الجافّة إلى البلاغة والتي انقضى عصرها منذ زمن بعيد. من هذه الكتب: كتاب *جواهر البلاغة* لأحمد الهاشمي الذي له حصّة الأسد في تدريس هذه المادة في إيران، ومن هذا القبيل كتاب *مظاهر البلاغة في نهج البلاغة* الذي ألّفته في نفس المسار التقليدي نزولاً عند رغبة أستاذي الكريم الذي أشرف على أطروحتي في الدكتوراه. وكلا الكتابين يقعان في خانة البلاغة التفتيتية، وسارا على المنهج التقليدي البعيد عن التطوّرات الجسيمة الهائلة في الأدب والبلاغة، ومنها: تجاوز بلاغة الجملة والتركيز على بلاغة النص.

أما هذا الكتاب، فقد ألّفناه ليكون نصاً جامعياً للتدريس في مادّة البلاغة الجديدة في مرحلة الماجستير وللنقد في مرحلة الدكتوراه.

وقد راعينا في تأليف هذا الكتاب نمط التفكير السائد على أقسام اللغة العربية

1. http://korsi.farhangoelm.ir/News/33781

وآدابها في الجامعات الإيرانية أساتذةً وطلاباً، مستخدمين تجربة شخصية دامت ثلاثة عقود في تدريس البلاغة في الجامعات الإيرانية بالإضافة إلى إدارة عدد من المؤتمرات والورش التعليمية المرتبطة بالبلاغة العربية، وإدارة لجنة البلاغة والعروض في قسم اللغة العربية بمجلس نقد الكتاب المدرسيّ في آكاديميّة العلوم الإنسانية التابعة لوزارة العلوم الإيرانية.

٢. خلفية البحث

التطوّرات الحديثة في علم البلاغة، والتي كشفت عن مكامن الخلل والنقص في هذا العلم، شغلت بال الكثير من الباحثين العرب، حيث ألّفوا كتباً كثيرةً تصرّح أو تلمح بعنوان *البلاغة الجديدة*. وبغضّ النظر عن المحافظين الذين يسيرون على نهج القدماء، يمكن أن نقسّم المجدّدين حسب مواقفهم بين الاتجاهات التالية:

● من يقول بموت البلاغة العربية وضرورة ضربها على الحائط، والذي «يدعو إلى قتل المريض وتغييبه تحت أطباق الثرى بين عبرات الرحمة وزفرات الإشفاق.

● ومن يرى في البلاغة القديمة رائداً معرفيّاً ثرّاً يمدّ الأسلوبيات اللسانية ونظرية اللسانيات النصية بما يعين لإحياء موات القديم واستنباط الصالح من ثمرات الجديد» (مصلوح، ٢٠١٠: ٨ـ٩).

نذكر بعض هؤلاء المجدّدين على سبيل المثال:

► خليل كفوري (١٩٩٤)، *نحو بلاغة جديدة*، بيروت: منشورات ندّاف.

اعتبر كفوري كتابه ثورة في عالم البلاغة، وأكّد أن «الدراسات في عصر الانحطاط بعدت كثيراً عن جوهر البلاغة، وصارت تلوك مصطلحات عقيمة يجب تخليص البلاغة منها. البلاغة بنت الأدب، ووجدت لتشرح صدر أبيها لا لتخنقه. وعلّل سبب العقم في البلاغة الانحطاطية بتأليف شواهد اصطناعية لمصطلحات

جاهزة، وهذا زوّد البلاغة بمئة وستين اصطلاحا لا تمت إلى البلاغة بصلة. فأصبحت الدارسة عبئاً على الطلاب، وأصبحت بعيدة عن الحياة وعن الحاجة». ويتساءل: «ما علاقة السرقة مثلا بالبلاغة؟ وما علاقة المعاظلة أو الاستعارة البشعة أو السجع المتكلف؟» (كفوري، ١٩٩٤: ٥).

► مصلوح، سعد (٢٠١٠)، *في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، آفاق جديدة*، ط ٢، القاهرة: عالم الكتب.

جمع مصلوح في هذا الكتاب خمسة فصول جعلت الكتاب مجموع أبحاث مستقلة غير متواصلة، وركّز على ضرورة إعادة قراءة التراث البلاغي العربي القديم، لأنه برأيه يشتمل على ملاحظات دقيقة وآليّات تستطيع أن تستجيب لمتطلّبات العصر، رغم مواطن الضعف والخلل الأساسيّة فيها، ومنها: منهجية بلاغة الجملة التي تؤدي إلى فك عناصر النص وتضرّ بوحدتها العضوية (خاقاني أصفهاني، ١٣٩٤).

► موسى، سلامة (١٩٦٤)، *البلاغة العصرية واللغة العربية*، منشورات سلامة موسى.

وقد تطرّق فيه إلى المضامين العامّة المتعلقة بالأبعاد السوسيولوجية والسايكولوجية للغة العربية. وفيه تركيز على الخلافات بين العربية القديمة والمعاصرة.

► بن ذريل، عدنان (٢٠٠٠)، *النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق*، دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.

وقد خصّ الفصل الخامس من كتابه: بعنوان: في البلاغة الجديدة.

► الزنّاد، الأزهر (١٩٩٢)، *دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة*، بيروت: المركز الثقافي العربي.

اتّبع الزناد في تأليف هذا الكتاب نهج الدرس البلاغي العربي القديم، لكنّه زوّده بمعطيات الدرس اللساني الحديث (الزنّاد، ١٩٩٢: ٥).

► هدّارة، محمد مصطفى (١٩٨٩)، *علم البيان*، بيروت: دار العلوم العربية.

يحدّد هدّارة منهج الكتاب بإبراز القواعد البيانيّة كما ثبتت في كتب التراث البلاغي، وفي الوقت ذاته يريد «تحريرها من جمودها وثبات أمثلتها والتخفف من التقسيمات والتفريعات ما أمكنه ذلك وربطها بالنقد الأدبي، خاصة أن موادّ البيان تتصل اتصالاً وثيقاً بالصورة الفنية» (هدّارة، ١٩٨٩: ٨).

► البستاني، انطوان مسعود (١٩٩١)، *البلاغة والتحليل*، ط ٤، بيروت: دار المشرق.

اللافت للنظر أن منهج هذا الكتاب هو نفس المنهج التقليدي في تصنيف الموضوعات، لكن يتميّز بذكر نصوص في تمارين آخر الدروس. ورغم أن المؤلف لايتحدث في دروسه عن بلاغة النص وطرائقها ومناهجها، لكنّه يطلب من التلاميذ والطلاب تحليلاً بلاغياً للنصوص بدلاً من جمل متفرقة. وقسّم كتابه إلى ستة أقسام: القسم الأول للفصاحة والبلاغة، القسم الثاني للمعاني، القسم الثالث للبيان، القسم الرابع للبديع، وجعل العروض في القسم الخامس من كتابه والجماليات في القسم السادس منه. وكتابه فريد في تسميته بالبلاغة والتحليل، وتخصيصه فصلا للجماليات.

هذا فضلاً عن أصحاب المشاريع الكبرى في تجديد البلاغة العربية ومنهم: الشيخ أمين الخولي وأحمد الشايب وآخرون سنعرض آرائهم البلاغية في الفصل السادس من هذا الكتاب. سنتحدّث عن مظاهر التجديد البلاغي في هذه الكتب بنظرة نقدية، كما نورد قائمة بعناوين الكتب التي تتصل بالموضوع في الملحق ٢: بيبلوغرافيا مصادر البلاغة والأسلوبية.

هذا على مستوى البلدان العربية. أما على صعيد إيران الإسلامية فلم نجد خطوات عملية لتجديد البلاغة إلا في كتاب *مسائل بلاغية هامة* لمحمد فاضلي، الذي قدّم إضافات على نفس البلاغة التقليدية، وابتكارات في قسم البديع ككتب شميسا وكزازي، ودراسات عروضية في كتب بعض الباحثين.

أمثال هذه الكتب وإن أفادت في عملية الانتقال إلى بلاغة جديدة، إلا أنها لم تفلح في رسم خطة جديدة لهيكليّة علم البلاغة في ضوء المستجدّات الحديثة.

٣. ضرورة البحث

إن الخلل واضح ومشهود في مشاريع تجديد البلاغة عند العرب والمستعربين، والساحة العرّبية حائرة مرتبكة تفتش عن صيغة تجدّد البلاغة وتطوّرها على أساس سليم، علماً أن البعد الأدبي يحتلّ الصدارة بين الأبعاد الثقافية لشعوب عربية ومستعربة تعوّدت منذ فجر تاريخها على مقولة: *الشعر ديوان العرب*!

ثم إن الأمّة الإسلامية عانت في القرون المعاصرة من أزمة عدم تلاؤم الثقافة الإسلامية مع الحضارة الغربية التي سيطرت على كلّ صغيرة وكبيرة من تقنيّات الحياة الحديثة، ويفكّر روّاد هذه الأمّة في إمكانية خلق حضارة إسلاميّة جديدة تتناغم مع ثقافتها الإسلامية. لكن إذا ابتليت الأمّة بأزمة في صميم ثقافتها فهذه هي المصيبة الكبرى! وأزمة اللغة والأدب (وعلى رأسها أزمة البلاغة) لها دور بالغ في أزمتها الثقافية.

وقد بات فرضاً على جميع الملمّين بشؤون اللغة والأدب والبلاغة أن يتكاتفوا في الخروج من هذا المأزق. وهذا هو السبب في تأليف هذا الكتاب.

٤. منهج البحث

منهج البحث في هذا الكتاب تكامليّ، أي وصفيّ تحليليّ عموماً، ومعياريّ عندما يقتضي البحث تطبيق المنهج المعياري.

وقد يرى القارئ الجمع بين المنهجين تناقضاً، لكنّنا نبرّر هذا الجمع بأنّه قد يمكن الاكتفاء بالمنهج الوصفي والتحليلي في الصرف والنحو[١] وعلم الأصوات وغيرها، لكن البلاغة تفرض على الباحث نقداً لجماليّات النصّ الأدبي. وفي نقد الجماليات يستحيل أن يتخلّى الناقد عن المنهج المعياري، إذ إنّه يريد أن يحدّد: ما هو جميل؟ وما هو أجمل؟ وهذا الموقف يتطلّب معياراً لتحديد معنى الجمال ومراتبه ودرجاته.

---

١. ملاحظة: اتخذ سيبويه موقفا معياريا في الدراسة النحوية للجملة عندما قسّم أنواع الجملة إلى الصادقة والكاذبة والحسنة والقبيحة والأحسن والأقبح (خاقانى، ١٣٩١: الفصل ٣٣).

٥. سيميائيّة العنوان

ظهرت في الأسواق العربية كتب عدّة تحمل عنوان البلاغة الجديدة، لكن هذا العنوان لم يرد على كتب الإيرانيين، مما يبرّر هذا الاختيار.

ولا علاقة بين مشروعنا هذا وكتاب *البيان والتبيين* للجاحظ البصري إلا التشابه في التسمية، إذ إنه يستعمل البيان للغة والتبيين للغة اللغة أي الكلام على الكلام، ويبحث في هذا الكتاب عن صحة مخارج الحروف وسلامة الألفاظ والابتعاد عن تنافر الحروف وعن صحة الجملة والإيجاز والإطناب ومراعاة حال المخاطب وأحوال الخطيب وأوضاعه، ضمن أبحاث متشتّتة ومبعثرة وغير منتظمة.

أما *البيان* في عنوان كتابنا فهو مصدر للفعل بان يبين بمعنى ظهر يظهر. والبيان هو الكشف والظهور (*لسان العرب*). نستعمل لفظة البيان في هذه النظرية كمصدر لازم (مبنيّ للفاعل)، يتعدّى بنقله إلى باب التفعيل فيصبح التبيين بمعنى الإظهار والإبراز.

إن مقصودنا من ثنائية **البيان/التبيين** هي ثنائية اللغة الصامتة/اللغة الناطقة.

واللغة الصامتة هي الفكر طيلة بقائه في ذاكرة الفرد، وهي لغة، لأنها تتركب من جمل وعبارات وكلمات يستحضرها الشخص في ذهنه، وهي حتى الآن بيان في صيغته اللازمة. ولكن عندما تصدر هذه اللغة الصامتة، وتبرز في صورة صوتيّة، وتطلق في الهواء ليتلقّاه المخاطب، تصبح لغةً ناطقةً، أي تصبح تبييناً في صيغته المتعدّية. مزيد الإيضاح سيأتي في المبحث ٧-٣ بإذن الله تعالى.

٦. أبحاث الكتاب

الكتاب يشتمل على ثمانية فصول كالتالي:

ـ **المقدمة**: في تبيين الموضوع وضرورته وأهدافه وأسئلته.

ـ **الفصل الأول: مباحث تمهيدية**، في ماهية اللغات البشرية والأدب والفن والبلاغة.

ـ **الفصل الثاني: البلاغة القديمة وخصومها الجديدة**، وهي: علم اللغة العام

وعلم الجمال والنحو العام والأسلوبيات وتحليل الخطاب وعلم الإشارات وعلم الدلالة والنقد الأدبي.

ـ **الفصل الثالث: البلاغة القديمة؛ مرور و نقد،** في تعاريف البلاغة وتقسيماته.

ـ **الفصل الرابع: معالم البلاغة الجديدة،** في تأثرها باللسانيات الجديدة والأسلوبيات وبلاغة الجملة وبلاغة النص.

ـ **الفصل الخامس: الحركات التجديدية في البلاغة العربية،** ومنها صيغ أمين الخولي وأحمد الشايب وسعد مصلوح وآخرين.

ـ **الفصل السادس: إعادة تنظيم العلاقات بين النحو والبلاغة،** واقتراح نقل معظم أبواب علم المعاني إلى علم النحو.

ـ **الفصل السابع: منطلقات المؤلف في تجديد البلاغة،** وفيه مبادئنا الفلسفية لبلاغة البيان والتبيين وعرض بعض الثنائيات والإشكاليات.

ـ **الفصل الثامن: محاور بلاغة البيان والتبيين،** وتشمل المقامات والأبواب والوحدات.

نلفت نظر القارئ الكريم أن الفصول الأولى بطبيعتها تشمل معلومات وأقوال من الموافقين للبلاغة التقليدية والرافضين لها. أما مواقف المؤلف وابتكاراته فتتّضح في الفصول الأخيرة من الكتاب.

٧. إلى مدرسة البيان والتبيين التوحيدية

إن نظريّة بلاغة البيان والتبيين هي اقتراحنا في تجديد البلاغة العربية، وهي بالأساس جزء من مشروعنا التوحيدي المسمّى **بمدرسة البيان والتبيين في علوم اللغة والأدب** في إطاره الشامل.

لكنّنا بنظرة واقعية نرى أن جمهور المخاطبين متعوّد على رحلة علمية وتعليمية تاريخية متجذرّة عبر القرون والأعصار، وعلى تراث ضخم في علوم اللغة والأدب قائم على نظرة تفتيتية تفرّق بين علوم شتى بحجة التخصص في مختلف

جوانب اللغة والأدب. ويصعب عليه أن يمحو هذه الهيكلية المترسّخة وهذا الركام المعرفيّ بين ليلة وضحاها.

لذلك، نفضّل أن نخطو برفقة القرّاء الكرام خطوة تمهيدية إصلاحية لرسم صورة جديدة عن البلاغة وخاصة علاقتها بعلم النحو، ثم نقدّم مشروعنا التوحيدي الشامل في دراسة أخرى بإذن الله تعالى.

نعترف أمام القراء العرب الكرام بغلبة النكهة الإيرانية على أسلوب هذا الكتاب، ونعتذر منهم لهذه المشكلة، ونرجو منهم ومن زملائنا الإيرانيين أن يسامحونا على نواقص الكتاب الشكلية، وأن يدقّقوا في مشروعنا، ويسعفونا بآرائهم النقدية ليخرج بإذن الله تعالى ومساعدة أسرة اللغة العربية هذا المشروع بفوائد للجيل الجديد في الأمة الإسلامية، كما نمدّ يد العون للباحثين في مجال البلاغة العربية في استدراك ما غفلنا عنه أو غاب عنّا أو أخطأنا في فهمه في هذه المحاولة المتواضعة.

وأخيراً؛ إن المؤلف يعرف حدوده كمستعرب غير عربيّ، ويعرف تماماً أن أهل البيت أدرى بما في البيت، لكنّه سمع من زملائه العرب الكرام مراراً أن العروبة بالثقافة لا باللسان، وإلا لما كانت لسيبويه مكانة في النحو العربي ولا للجرجاني مرتبة في البلاغة العربية.

وهو المستعان

محمد خاقاني أصفهاني

أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

١٣٩٦هـ.ش ١٤٣٩هـ.ق

www.m-khaqani.ir